

في نور محمّد فاطمة الزهراء

ونحن مع بنت نبي الهدى *** ذي شرف قد مكنت فيه في ذروة شامخة أهلها *** فما أرى شيئاً يدانيه وتعاود السيّدات إنشاد البيت الأول بعد كلّ فقرة. وانساب موكب الزفاف بين جمهور أهل المدينة، من رجال ونسوة وصبيان، انسياب قارب متمازج الألوان، منشور الشارع، يتهاذى على وقار وهينة نحو مرساه. وكان المرسى غرفة صغيرة أُعدّت لاستقبال العروسين مسكناً شاملاً يفي بعض الوفاء بحاجتهما الضرورية. فرشها رمل، في ناحية بسط إهاب كبش، في أخرى حصير هجري، في ثلاثة فراشان من خيش مصر، حشو أحدهما ليف، وحشو ثانيهما صوف... وسرير ملفوف بشريط من خوص. هنا وهناك قطع من الأثاث وأدوات المنزل، تناثرت في أنساق لا تخلو من لمسات ذوق سليم. ودخل رسول الله، تسبقه إشراقة محيّاها، على فتاته وفتاه. فلمّا استوى به المقام، وقد ضمّ العروسين بين جناحيه، أمر فجاء له بإناء فيه ماء توضّأ منه، ثم نثر بعضه على رأسي حبيبه وهو يتلو بخشوع من آي القرآن، ويدعو ربّه لهما بخير الدعوات. أفكانت تلکم القطرات المائية رمزاً لنشوء الحياة، وكانت دعواته رجاءً إلى ربّه أن يجسّد الرمز خلفاً طهوراً، ينحدر منهما في الأجيال؟ لكأنّ الأمر كذاك؟ ولكأنّّه كان يرتّل بلسان وجدانه قول الله: (وَجَعَلْنَا مِنْكُمْ آلَ إِبْرَاهِيمَ قَوْمًا مُّسْلِمِينَ) [1119]. فلم يكن شيء أحبّ إليه من ذريّة صالحة بعضها من بعض، تخرج من حبيبه